

العصر العباسي الثالث

عصر النفوذ البويهى الفارسي

334 - 447 هـ / 946 - 1050 م

الخلافة العباسية والبويهيين

تأسيس الدولة البويهية

شكل العصر العباسي الثالث ردة فعل مناهضة للنفوذ التركي الذي تمكن من السيطرة على مقدرات الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني. ومثل حركة فارسية شيعية زيدية لإعادة الاعتبار الذي تراجع خلال القرن الثالث الهجري. واختلف هذا العصر في مظاهره عن العصر العباسي الثاني من حيث التركيز على المشرق.

ظهر بنو بويه على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري وأسسوا دولاً انفصالية في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمدان. وبسطوا هيمنة فعلية على العراق، فشاركوا الخلافة العباسية في حكمه. وعظم نفوذ هذه الأسرة حتى سمي باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية.

هاجرت هذه الأسرة من الشمال، من بلاد الديلم المنطقة المجاورة لبحر قزوين، واشتهرت على يد الأخ الأكبر من الإخوة البويهيين الثلاثة، وهو علي بن شجاع بن بويه، الذي ولاه مرداويج الزياري بلاد الكرج.

ويبدو أن علياً كانت تراوده نزعات تتعدى الاستقلالية إلى التوسع على حساب جيرانه بالإضافة إلى الطموح السياسي الذي تحقق له سريعاً، حيث ما لبث أن أصبح صاحب شوكة في هذه النواحي، واستمال الناس بحسن سياسته، وتمكن بفضل مقدرته العسكرية، والإدارية، وكرمه، وحسن معاملته لأتباعه؛ من بناء جيش قوي، انتزع به معظم بلاد فارس، في خلال فترة قصيرة. واتخذ مدينة شيراز قاعدة لحكمه.

وكان علي يستولي على هذه البلاد باسم الخليفة العباسي ظاهراً، لكن في باطنه الأمر كان يهدف إلى إقامة دولة خاصة به مستغلاً ضعف الخلافة السياسي والعسكري وعجزها عن التدخل في هذه المناطق لترتيب أوضاعها. ثم أرسل إلى الخليفة الراضي يطلب منه الاعتراف بسلطانه وهذا طبيعي، فإنه كان عليه أن يأمن جانب الخلافة لأنه سيطر على إحدى ولاياتها رغم إرادتها، فأراد أن يكسب حكمه صفة شرعية. وقد تم له ما أراد.

تم التفت إلى مرداويج، فعمل على كسب رضاه هو أيضاً فعرض عليه أن يدخل في طاعته، وأن يكون ما بيده من بلاد تابعة له يخطب له فيها. وبالطبع رحب مرداويج بهذا العرض، فقلده أرجان، وأرسل علي إليه أخاه حسن رهينة ليكفل له حسن التنفيذ.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين الخلافة العباسية ، في هذه الفترة، فقد تحددت بمقتضى التقليد الذي أرسله الخليفة، لكن الخلافة حاولت أن تستعيد هيبتها، فأرسلت جيشاً بلغ مشارف فارس، لكنه رُدَّ على أعقابهِ بعد وقعة أرجان في عام (323 هـ / 935 م) وثبت علي بن بويه أقدامه في المنطقة، وأقام دولته فيها.

ويبدو أن الظروف السياسية كانت تعمل لمصلحة البويهيين ففي عام (323 هـ / 935 م) قتل مرداويج، فاستفاد علي من هذه الفرصة، وسيطر على بلاد الجبل التي كانت تحت سيادة وشمير الزياري شقيق مرداويج. وأرسل أخاه حسن، الذي فرَّ بعد مقتل مرداويج، إلى عراق العجم، فسيطر على أصفهان والري وهمدان والكرج وبقيّة بلاد العراق العجمي، واتخذ أبا الفضل بن العميد وزيراً له .

تطلع علي بن بويه بعد ذلك إلى تأمين حدود الأقاليم التي استولى عليها وتطلبت سياسته الاستيلاء على كرمان والأهواز قبل الدخول إلى العراق الذي كان محط أنظاره، على اعتبار أن هذين الإقليمين يشكلان ممراً طبيعياً لأي غزو محتمل لإقليم فارس إن من ناحية الشرق أو من ناحية الشمال.

لذلك، أرسل أخاه أحمد على رأس قوة عسكرية ، فاستولى على كرمان في عام (324 هـ / 936 م) بعد معركة الفنطرة وأضافها إلى أملاك آل بويه ، ثم سيطر على الأهواز .

لم تقف الخلافة العباسية مكتوفة اليدين إزاء هذه التطورات السياسية والعسكرية. لذلك انتهزت فرصة هذا الصراع البويهي - الزياري وحاولت استعادة الأهواز، فأرسلت قواتاً بقيادة بحكم لاستردادها و طرد البويهيين منها. ووقف هذا عند حدود الأهواز القريبة من العراق منتهز الفرصة للتدخل . لكن القائد العباسي اضطر إلى التراجع تحت ضغط الأحداث العسكرية بعدما مالت كفة البويهيين للرجحان . وأضحت الأهواز نتيجة ذلك في يد آل بويه الذين ضموا إلى أملاكهم . نتيجة لهذه التطورات، تم لبني بويه توسيع قاعدتهم بما يتماشى مع تطلعاتهم التوسعية وأضحى نزولهم من الأهواز إلى العراق أمراً ميسوراً، فراحوا يراقبون الأحداث في عاصية الخلافة، حتى تسنح لهم الفرصة لدخولها .

كانت الحالة في العراق مضطربة نتيجة اشتداد الخلافات بين ابن رائق والى البصرة وأمير الأمراء من جهة، وبين أبو عبدالله البريدي والى الأهواز السابق والفار من وجه قوات الخلافة من جهة ثانية، وقد التجأ إلى علي بن بويه وأطروه في دخول العراق. ومن جهة أخرى، كانت الخلافة واقعة تحت نفوذ الأتراك، وظهر عجزها في اقرار الامور في العراق. فشعر الناس بهذا الفراغ السياسي، وبفشل أمراء الأمراء . كما احتلت المالية العامة في الدولة، وفرغت خزائن الخلافة، ووقع الخلفاء في ضائقة مالية شديدة نتيجة التحكم الأتراك وجشعهم .

نتيجة لذلك، تطلع الناس إلى هذه القوة الجديدة التي ظهرت بالقرب منهم واثبتت جدارتها، لتنتشلهم من الفوضى، كما تطلع بعض القادة المغلوب على أمرهم إلى قوة البويهيين النامية، أملين أن يحصلوا بواسطتها على الامتيازات التي حرّموا منها أو أبعثوا عنها . وأخيراً مال الخليفة المتقي لطلب المساعدة من البويهيين لوضع حدّ للنزاعات الداخلية بين الأمراء، خاصة بعد ما ساءت العلاقات بينه وبين توزون.

1. وفعلاً دعا الخليفة ، احمد بن بويه وطلب منه دخول بغداد، كما كاتبه بعض القادة للغاية نفسها. فسار إليها في عام (332هـ/ 944 م) ودخلها في عام (334 هـ/ 945 م) بعدما خرج الأتراك منها، واستقبله الخليفة المستكفي واحتفى به وخلع عليه ، وعينه أميراً للأمراء، ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه علياً عماد الدولة، كما لقب أخاه حسن ركن الدولة . ومن ثم أضحت هذه الألقاب الفخمة، التسمية المألوفة للأمراء البويهيين.

وهكذا أسس البويهيون في فارس والعراق والأهواز وكرمان والري وهمذان وأصفهان إمارات وراثية دامت حتى عام (447 هـ/ 1055 م) وقد أدى نظام الوراثة هذا، إلى إيجاد نوع من الاستقرار السياسي في دولة الخلافة العباسية، سيطر البويهيون أثناءها على مقاليد الأمور، وتصرفوا بشكل مطلق. لكن هذا الاستقرار كانت تشوبه بعض الاضطرابات الناتجة عن النزاعات المذهبية بفعل تشيع الأسرة البويهية .